غزوات المصطفى ﷺ

(٢)

غَزْوَةُ بني قَيْنُقَاع..

الدكتور
محمد عمر الحاجي

الطبعة الأولى

جميع الحقوق محفوظة

يمنع طبع أو إخراج هذا الكتاب أو أي جزء منه بأي شكل من أشكال الطباعة أو النسخ أو التصوير أو الترجمة أو التسجيل المرئي والمسموع أو الاختزان بالحاسبات الالكترونية وغيرها من الحقوق إلا بإذن مكتوب من دار المكتبي بدمشق .

دار المكتبي
للطباعة والنشر والتوزيع
www.almaktabi.com

سورية - دمشق - حلبوني - جادة ابن سينا
ص.ب ٣١٤٢٦ - هاتف : ٢٢٤٨٤٣٣ - فاكس : ٢٢٤٨٤٣٢
e-mail: almaktabi@mail.sy

الجو العام بعد بدر

كانَ في المدينةِ المُنوَّرةِ قَبيلتانِ مِنَ العَرَبِ ، هُما (الأَوْسُ) وَ(الخَزْرَجُ) ، لكنَّ المُشْكِلَةِ أَنَّ هاتينِ القَبيلتَيْنِ كَانَتَا تَتَقَاتَلانِ عَلىٰ زعَامَةِ المَدِينةِ وَمَا حَوْلَها ، وَمَا أَكْثَرَ الحُرُوب الَّتي دَارَتْ بَيْنَهُمَا ، وَمَا أَكْثَرَ الضَّحايَا الَّذِينَ سَقَطُوا مِنْ أَجْلِ ذٰلِكَ!!

وَالعجيبُ في ذلكَ أَنَّ المُسْتفيدَ مِنْ ذٰلِكُمُ التَّنَاحُرُ هُمُ اليَهُودُ ، فَقَدْ كَانُوا يَتَحَكَّمونَ بالسُّوقِ ، وَيَمْلِكُونَ أَجْوَدَ الأَرَاضِي الزِّرَاعِيَّةِ ، وَكَانُوا يَصُبُّونَ البِنْزِينَ فَوْقَ النَّارِ ، لِتَبْقَىٰ الحربُ مُشْتَعِلَةً بَيْنَ الأَوْسِ وَالخَزْرَجِ!!

لِذٰلِكَ كانَ أَوَّلَ عملٍ قامَ بِهِ رَسُولُ اللهِ صلَّى الله

عليه وسلم بَعْدَ الهِجْرَةِ ، هُوَ مؤاخاتُهُ بَيْنَ الأَوْسِ وَالخَزْرَجِ ، وَاسْتَطَاعَ أَنْ يَنْزِعَ فَتيلَ الحَرْبِ بَيْنَهُمْ ، لِيُصْبِحوا جميعاً كما قالَ اللهُ تَعَالىٰ : ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾ [الحجرات : ١٠] .

لكنَّ اليَهُودَ عَامَّةً ، وَبني قَيْنُقَاعَ خاصَّةً لَمْ يُعْجِبْهُمْ ذلكَ أَبَداً ، وَمَعَ ذٰلِكَ فَقَدْ وَقَّعُوا مُعَاهَدَةَ سَلامٍ مَعَ المُسْلِمينَ ، وَكانَ ذلكَ بمبادرةٍ مِنَ الرَّسُولِ صلى الله عليه وسلم ، عسىٰ أَنْ يَأْمَنَ غَدْرَهُمْ وَمَكْرَهُمْ .

لَكِنْ هَلْ يَلتزمُ بنو قينقاعَ بِشُروطِ المُعَاهَدَةِ مَعَ المُسْلِمِيْنَ ؟!

* * *

القُرآنُ حَسَمَ المَسْأَلَةَ!!

إِنَّنَا ـ يَا أَيُّها الأحِبَّةُ ـ إِذَا أردْنَا التَّعَرُّف على حَقيقةِ أمرٍ مَا ، فَعَلَيْنَا أَنْ نَعودَ إلىٰ القرآنِ الكَرِيمِ ، فهو كلامٌ معصومٌ ﴿ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾ [فصلت : ٤٢] .

هاهو القرآن يُحَدِّثُنا عَنِ اليهودِ بِأَنَّهُمْ لَمْ يَعْمَلوا بِما في التَّوْرَاةِ ، قالَ تَعالَىٰ : ﴿ مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ ٱلْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًۢا ۚ بِئْسَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [الجمعة : ٥] .

بَلْ لَقَدْ ذَهَبُوا إلىٰ أَبْعَدَ مِنْ ذلك ، فَقَامُوا بِتَحْرِيفِ التَّوْرَاةِ ، قال الله تعالىٰ : ﴿ وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ

لَا يَعْلَمُونَ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّآ أَمَانِىَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴿٧٨﴾ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ ٱلْكِتَٰبَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ لِيَشْتَرُوا۟ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ﴾ [البقرة : ٧٨-٧٩] .

ويُحَدِّثُنا القرآنُ عنهمْ بِأَنَّهم حاوَلوا تعجيزَ الأَنْبياءِ ، فَطَلَبُوا مِنْهُم مَطالِبَ تَعْجِيزِيَّةً ، ثُمَّ تَطاوَلوا عَلَيْهِم ، حَتَّىٰ وَصَلَتْ بِهِمُ الوَقاحَةُ إلىٰ قَتْلِ بَعْضِ أَنْبياءِ اللهِ!! وبالتَّالي ؛ فَهُمْ قُساةُ القُلُوبِ ، وَهُمُ المُفْسِدُونَ في الأَرْضِ ، وَهُمُ الَّذينَ أَساؤوا الأَدَبَ مَعَ الخَالِقِ سُبْحانَهُ ، وَهُمُ الَّذينَ جَحَدُوا نِعَمَ اللهِ فَاسْتَحَقُّوا غَضَبَهُ....!! وَمِنْ أَهَمِّ خَصائِصِهِمْ نَقْضُهُمُ المَواثيقَ وَالعُهودَ ، قالَ اللهُ تَعالَىٰ :

﴿ وَرَفَعْنَا فَوْقَهُمُ ٱلطُّورَ بِمِيثَٰقِهِمْ وَقُلْنَا لَهُمُ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْبَابَ سُجَّدًا وَقُلْنَا لَهُمْ لَا تَعْدُوا۟ فِى ٱلسَّبْتِ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَٰقًا غَلِيظًا ﴿١٥٤﴾ فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ وَكُفْرِهِم بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَقَتْلِهِمُ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ

وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌۢ بَل طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [النساء: ١٥٤-١٥٥].

وَلِذٰلِكَ؛ فَطَبَائِعُ الخِسَّةِ وَالخِداعِ وَنَقْضِ المَوَاثِيقِ وَالعُهُودِ مُتَأَصِّلَةٌ في نُفُوسِهِمْ!!

* * *

بِدَايَاتُ النِّهَايَةِ

وَعِنْدَمَا انْتَصَرَ المُسْلِمونَ في بَدْرٍ ، لَمْ يَسْتَطِعْ بَنُو قَيْنُقَاعَ أَنْ يَكْتُمُوا حِقْدَهُمْ وَكَرَاهِيَتَهُمْ لِذٰلكَ ، بَلْ كَانُوا يُعْلِنُونَ فِي الأَنْدِيَةِ وَالأَسْواقِ أَنَّهُ لا بُدَّ لِلْمُشْرِكينَ مِنْ يَوْمٍ قَرِيبٍ يَنْتَصِرونَ بِهِ عَلَىٰ المُسْلمينَ!!

وَذاتَ يَوْمٍ انْطَلَقَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِلَىٰ سُوقِهِمْ ، فَجَمَعَهُمْ وَقالَ لَهُمْ : « يَا مَعْشَرَ يَهُودَ! احْذَرُوا مِنَ اللهِ مِثْلَ مَا نَزَلَ بِقُرَيْشٍ مِنْ النِّقْمَةِ ، وَأَسْلِموا ، فَإِنَّكُمْ قَدْ عَرَفْتُمْ أَنِّي نبيٌّ مُرْسَلٌ ، تَجِدُونَ ذٰلِكَ في كِتَابِكُمْ وَعَهْدِ اللهِ إِلَيْكُمْ » .

فَقَالُوا : يَا مُحَمَّدُ! إِنَّكَ تَرَى أَنَّا قَومُكَ ، لا يَغُرَّنَّكَ

أَنَّكَ لَقِيْتَ قَوْماً لا عِلْمَ لَهُمْ بِالحَرْبِ فَأَصَبْتَ مِنْهُمْ فُرْصَةً ، إِنَّا وَاللهِ لَئِنْ حَارَبْنَاكَ لَتَعْلَمَنَّ أَنَّا نَحْنُ النَّاسُ .

فَأَنْزَلَ اللهُ تَعَالَىٰ قَوْلَهُ : ﴿ قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴿١٢﴾ قَدْ كَانَ لَكُمْ ءَايَةٌ فِى فِئَتَيْنِ ٱلْتَقَتَا ۖ فِئَةٌ تُقَٰتِلُ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَأُخْرَىٰ كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُم مِّثْلَيْهِمْ رَأْىَ ٱلْعَيْنِ ۚ وَٱللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِۦ مَن يَشَآءُ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُو۟لِى ٱلْأَبْصَٰرِ ﴾

[آل عمران : ١٢-١٣] .

* * *

فَوَقَعَ الشَّرُّ بَيْنَهُمْ!!

وَذَاتَ يَوْمٍ قَدِمَتِ امْرَأَةٌ مِنْ نِسَاءِ المُؤْمِنينَ إِلىٰ سُوقِ بَني قَيْنُقَاعَ ، وَذلكَ لأَجْلِ بَيْعِ بَعْضِ الجِمَالِ وَالأَغْنَامِ ، فَبَاعَتْهَا وَقَبَضَتْ ثَمَنَهَا ، ثَمَّ قَصَدَتْ دُكَّانَ صَائِغٍ يَهُودِيٍّ لِتَشْتَرِيَ بَعْضَ الحُلِيِّ ؛ لَهَا وَلأَوْلادِهَا .

وَلَمَّا رَآهَا بَعْضُ اليَهُودِ ، تَجَمَّعُوا حَوْلَهَا يُرِيدُون كَشْفَ وَجْهِهَا ، وَذٰلكَ لِيَسْخَرُوا مِنْها ، فَرَفَضَتْ .

فَما كانَ مِنَ الصَّائِغِ إلا أَنْ عَمَدَ إلىٰ طَرَفِ ثَوْبِهَا ، فَعَقَدَهُ إِلَىٰ ظَهْرِهَا ، فَلَمَّا قَامَتِ انْكَشَفَتْ سَوْءَتُها ، فَتَضَاحَكَ اليَهُودُ لِذَلكَ .

فَمَا كَانَ مِنَ المَرْأَةِ إلا أَنْ صَرَخَتْ بِأَعْلَىٰ صَوتِها ، فَوَثَبَ رَجُلٌ مِنَ المُسْلمينَ عَلَىٰ الصَّائِغِ فَقَتَلَهُ ، فَشَدَّتِ اليَهُودُ عَلَىٰ المُسْلِمِ فَقَتَلُوهُ ، فَاسْتَصْرَخَ أَهْلُ المُسْلِمُ المُسْلِمينَ عَلَىٰ اليَهُودِ ، فَغَضِبَ المُسْلِمُونَ ، فَوَقَعَ الشَّرُّ بَيْنَهُمْ وَبَيْن بَني قَيْنُقَاعَ .

وأَنْزَلَ اللهُ عَلَىٰ نَبِيِّهِ قولَهُ : ﴿ إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٥٥﴾ ٱلَّذِينَ عَٰهَدتَّ مِنْهُمْ ثُمَّ يَنقُضُونَ عَهْدَهُمْ فِى كُلِّ مَرَّةٍ وَهُمْ لَا يَتَّقُونَ ﴿٥٦﴾ فَإِمَّا تَثْقَفَنَّهُمْ فِى ٱلْحَرْبِ فَشَرِّدْ بِهِم مَّنْ خَلْفَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴿٥٧﴾ وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ خِيَانَةً فَٱنۢبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَىٰ سَوَآءٍ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْخَآئِنِينَ﴾ [الأنفال : ٥٥ـ٥٨] .

* * *

حِصَارٌ..... وَإِجْلاَءٌ!!

وَفي مُنْتَصَفِ شَوَّالَ مِنَ السَّنَةِ الثَّانِيَةِ لِلْهِجْرَةِ ، انْطَلَقَ المُسْلِمُونَ وَعَلَىٰ رَأْسِهِمُ الرَّسُولُ صلى الله عليه وسلم ، فَلَمَّا وَصَلُوا إِلَىٰ حُصُونِ بَنِي قَيْنُقَاعَ ؛ حَاصَرُوهُمْ قَرَابَةَ خَمْسَةَ عَشَرَ يوماً ، حتَّىٰ قَذَفَ اللهُ في قُلوبِهِمُ الرُّعْبَ ، فَنَزَلُوا عَلَىٰ حُكْمِ رَسُولِ اللهِ صَلَواتُ اللهِ عَلَيْهِ!!

فَأَصْدَرَ صَلَواتُ اللهِ عَلَيْهِ أَمْراً بِإِجْلائِهِمْ عَنِ المدينةِ المنوَّرَةِ ، شَرِيْطَةَ أَنْ يَتْرُكوا السِّلاحَ وَالأَمْوالَ ، وَذٰلِكَ خِلالَ مُهْلَةٍ أَقْصَاها ثَلاثَةُ أَيَّامٍ .

وأَوْكَلَ مُهِمَّةَ الإِشْرَافِ عَلَىٰ إِجْلائِهِمْ لِعُبَادَةَ بْنِ

الصَّامِتِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ..

وَقَدْ حَاوَلُوا أَثْنَاءَ المُهْلَةِ اللَّفَّ وَالدَّوَرَانَ ، وَالخِدَاعَ والخِيَانَةَ ، لَكِنَّ الرَّسُولَ صَلَواتُ اللهِ عَلَيْهِ دَعَا عَلَيْهِمْ بِقَوْلِهِ : « لَعَنَهُمُ اللهُ » ، وأَنْزَلَ اللهُ تَعَالَىٰ قَوْلَهُ :

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَن تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُهُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾

[آل عمران : ١١٦] .

... وَهَكَذَا خَرَجَ بَنُو قَيْنُقَاعَ مِنَ المَدِينَةِ المُنَوَّرَةِ ، تَارِكِينَ وَرَاءَهُمُ الأَرَاضِيَ وَالأَمْوَالَ وَالسِّلاحَ ، وَتَوَجَّهُوا إِلَىٰ مِنْطقَةِ (أَذْرَعَات) في بلادِ الشَّامِ ، فَأَقَامُوا فِيها أَذِلاَّءَ صَاغِرِيْنَ ، وَلَمْ تَدُرْ عَلَيْهِمُ السَّنَةُ حَتَّىٰ هَلَكُوا جَمِيعاً .

وَكَانَ لِخَبَرِ إِجْلائِهِمْ وَقْعٌ كَبِيرٌ عَلَىٰ اليَهُودِ

الآخَرِينَ ، وَعَلَىٰ أَهْلِ مَكَّةَ أَيْضاً ، لٰكِنْ هَلْ اعْتَبَرَ الآخَرُوْنَ مِمَّا حَصَلَ لِبَنِي قَيْنُقَاعَ ؟!

وَالحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِينَ

* * *